

اللغة العربية في مدارسنا^(١)

اللغة العربية لغة البلاغة والبيان لغة الخيال والشعر ودقة التشبيه لغة تكاد تفوق جميع اللغات لغزاً مادتها وحسن اسلوبها ورقة معناها وشدة تأثيرها . لغة تجذب قلوب الاذكياء متى فهموها وتنجي لاعينهم بها . فما بالها الآن اصحيت غريبة بين اهلها ينفر منها ابتداءً وبناتنا العير تهاب حنته . سوى صعوبة الطريقة المتبعة في تعليمها حتى اصبح يتبها مغار المتعلمين ويستهيرونها . نعم اللغات الاجنبية في جنب تعلمها وهم في ذلك معذورون لانهم يفاجأون في تعلمها بالصعب المبرح فيتعدي التليذ الصغير يعلم جميع الحروف الهجائية وهي ثمانية وعشرون حرفاً دون ان ندرك له . وكأننا استصغرنا عددها عليه فاضفنا اليها (لام الف) ولا ادري ما فائدة هذا الحرف المركب بين الحروف الهجائية المفردة . ويتعلم بعد ذلك الحركات المختلفة كالفتحة والكسرة وغيرها دون ان يبرن على قرائتها بنشلة كثيرة تشتت في ذاكرته وما يكاد يتسنى الى آخر هذه الحركات الكثيرة المشعبة حتى يكون قد نسي الفتحة والكسرة وكيف ينطق بهما يتدنى بعد ذلك كله في المطالعة تطبيقاً على ما اخذه من القواعد فكون اول كلمة يقرأها في كتاب المجاه (بَطْ) وما شاكلها فكأننا نظن ان كلمة بط هذه سهلة لانها تتركب من حرفين وقد فاتنا انها انما تتركب في الحقيقة من اربعة احرف اذ تنطق (بَطَطُن) ولو كانت هذه الحروف الاربعة ظاهرة محسوسة لمكان الامر على التليذ الصغير فقد يسهل عليه ان يقرأ (دَحْرَج) اكثر من ان يقرأ تلك الكلمة الصغيرة في الظاهر الكبيرة في الباطن . لهذا نرى التليذ الصغير وقد ارتبك في امره ولم يعرف كيف يقرأ فاعتمد على ذاكرته وردد ما سمعه دون ان يقرأ ما يراه خصوصاً اذا رأى صورة البط يجاب هذه الكلمة فهو لا يتأخر عن اعادتها كلما نظر الى الصورة

ينتقل من ذلك الى دور الكتابة فيترسل المعلم في شرح رسم الحروف على جميع اشكالها المختلفة ويلاحظ ان لكل حرف منها ثلاث صور صورة وهو في اول الكلمة وصورة وهو في وسطها وصورة وهو في آخرها ويظيل في ذلك الشرح وتلاميذ جالسون بلا عمل يتعلمون صمراً وسامة ولا بدع ان تعودوا من هذا سوء النظام في الدرس وكروها لاجله اللغة العربية . ولو كتب لهم كل يوم سطراً مما يقرأون بعد ان استفتح منهم مجاهه وناقشهم في اشكال الحروف المشابهة وغير المشابهة ثم امرهم بعد ذلك بكتابتها ومحاكاته بالدقة لتعودوا

(١) مجلة منها النبوة نورية مرسى في ٢٤ أبريل في اجتماع اتحاد انصار المهدي

رسم هذه الحروف دون ان يشعروا بصعوبة ما . فان اخط نوع من الرسم يشكك الانسان بحقيقى النظر اليه ومحاكاته مراراً لا بكثرة الكلام وطول الشرح

ولقد صادفت مرة سيده اجنبية فاخذت تظهر لي اسما الشديداً لعجزها عن تعلم اللغة العربية مع شدة ميلها الى ذلك وقالت انك لو اردت تعلم اي لغة اجنبية فانك لتعلمين اولاً رسم ما لا يزيد عن سبعة وعشرين حرفاً فقط اما اللغة العربية فاننا نتعلم فيها تسعة وعشرين حرفاً ولكل حرف منها ثلاث صور فيكون مجموع صور الحروف التي نتعلم رسمها سبعةً وثمانين صورة وكنى بذلك صعوبة على المتدبى . ولقد احضرت لي استاذاً فلما علمت منه هذا سمعت وتركت الدرس . فتمهدت لها بان اقوم بتعليمها اللغة العربية على شرط ان لا اعلمها اكثر من ثمانية وعشرين حرفاً وان استنتج منها جميع الحروف المكتوبة في الكلمات التي نقرأها دون ان اعلمها اكثر من صورة واحدة لكل حرف . فكنت اذا مرت بحرف لم تعرفه اكلها ان تنظر الى الحروف المجاورة المفردة لتعرف اي حرف منها يشبهه ولو في بعض اجزائه ولقد مرت بكلمة (عَجْر) فقالت ان اول جزء منها يشبه رأس العين والثاني يشبه رأس الجمل والثالث زَيْن قلت حنا فلما لا نأكد انهما عين وجم وزين . واستمرت على ذلك فكانت تسر جداً بمعرفة الحروف الموصولة بنفسها دون ان ارشدتها اليها ولم تحط على ما اتذكر الا في العين والميم في وسط الكلمات وقد اقبلت اقبالا عظيماً على تعلم اللغة العربية . فاذا كانت هذه السيدة المتدورة قد انصرفت عن تعلم اللغة العربية لصعوبة الطريقة الشيعة في تعليمها فما بالنا بالاطفال الصغار الذين لا يهرون على تحمل المشاق وهل نلومهم ان قاموا وقعدوا اثناء الدرس وانفذوا على الملء النظام ولم يستفيدوا منه شيئاً

واغرب من هذا ان المعلم يشرح رسم الحروف وكيفية وصل بعضها ببعض ثم يعي على التلاميذ كلمات لم يتادروا كتابتها من قبل كأن شرحه هذا آية من عند الله قد اوتت في ايدي التلاميذ فجعلتهم يكتبون ما يريد ويعي هذه الكلمات على التلاميذ فيكتبونها باشكل غريبة لم تشاهد الا في كتاباتهم وبذلك يتادون رداة الخط وعدم النظام . وكان يحسن ان لا يعي على المتدربين شيئاً بل يستنتج منهم مجاهداً ثم يكتبها على السبورة بخط جيد وياأمرهم بنقلها في كراساتهم وبذلك يتادون حسن الخط وصحة الوصل

يقاسي التلاميذ هذه الصعوبات حتى اذا تحطوها وعرفوا كيف يقرأون ويكتبون صرفنا كل اوقاتهم في مطالعة كتب ركيكة الصبر ولم نسن كل هذه المدة بتعليمهم مبادئ الانشاء ولم نلتفت ايضاً الى تفسير معاني ما يظالمونهُ ولا شرح اسباب خطائهم في اواخر

انكسرت بل اكتسبت بردهم الى الصواب هذا اذا لم تركهم وخطأهم على ان التلاميذ الضالين في
 وسعهم ان يميزوا الفاضل والمفصول وغير ذلك اذا شرحناه لهم بالفاظ يتكلمهم فهمها كانت
 نكتب امامهم جملة سهلة مثل (اكتب الرجل) ونسألهم عن كسب ونتنتج منهم ان الرجل
 هو الذي فعل الكتابة وانا لذلك نسبه فاضلاً ورفعة وهكذا حتى يتكلموا من تمييز المرفوعات
 والمفعولات وغيرها لا ان تركهم على جهن بها اى ان نسرده عليهم التعاريف المطولة التي
 ربما لا يفهمونها فتعاقبهمنا ان يميز التليذ الفاضل فيرفعه والمفصول فينصبه ولا يهمننا تلك
 التعاريف الطويلة العريضة التي يرددها التلاميذ على غير جدوى يهمننا ايضاً ان يفهم
 التلاميذ معاني ما يقرأون ويحكون في كتاباتهم فيجب ان ينادوا من السنة الاولى تركيب
 جمل بسيطة من مفردات تختب من دروس المطالعة ثم كتابة حكايات قصيرة تلقى عليهم
 لا ان يحرموا من التفرغ الانشائية في السنتين الاولى والثانية حتى اذا تقفوا الى السنة الثالثة
 والارابعة كلفناهم انشاء موضوعات لا قيل لم بها فيجزون عنها ونحط همهم ويكون ذلك
 داعياً الى انصرفهم عن اللغة العربية وكثرة شكواهم من صعوبتها

هذا فضلاً عما يلاقونه التلاميذ من الصعوبة في دروس الاملاء التي لا تأتيهم الا
 مشحونة بالكلمات المنجورة وربما كانت اكثرها ميتاً لا يستعمل فكأننا نقاسم التلاميذ
 بالصعب ونطلب منهم معرفة ما لا نستعمله نحن في كتاباتنا العادية كما نعلم التليذات الصغيرة
 التصغير والنسبة ونحن لا نرى فيما نقرأه الآن من الكتب والمجلات اسماء مصفرة ولورياتها
 لفرقنا منها واستحجناها ويندر ان نرى به النسبة الا في كلمات معروفة لا خوف على التليذ
 من خطأ فيها فكأننا يهذه القواعد وغيرها من قواعد الاعلال والابدال والصرف نختلج
 للتلاميذ صعوبات هم في شتى عنها

وما احوج هؤلاء التلاميذ الى صرف ذلك الوقت في قراءة مقالات حسنة الاسلوب وانتقاد
 ما يمن لم انتقاده واستحسان ما يرون استحسانه منها ليتكلموا من فهمها حتى يفهم ومحاكاتها في
 كتاباتهم . ولست ارى شيئاً يفيد التلاميذ في معرفة اللغات ككثرة المطالعة وانتقاد ما
 يطالعونه انتقاداً مندلاً لهذا اراد في حاجة شديدة الى وضع كتب حكايات اديبة باللغة
 العربية تبيل التلاميذ الى قراءتها خارج الدرس لتتولد فيهم ملكة الانشاء . ويسوني جداً ان
 ارى مدارسنا خالية من تلك الكتب اللطيفة ونحن مشغولون بدرس تلك القواعد التي شغفنا
 بها . ولا ارمي بهذا القول غيري وابري منه نفسي بل اتصد به نفسي قبل ان اوجهه الى احد
 من زملائي المعلمين وارجو ان توفق جميعاً الى اصلاح تلك الحال فما فاتنا امس لن يفوتنا غداً